

الاستجابة لله تعالى، ولرسوله ﷺ ١١ شعبان ١٤٤٤ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاسْتِجَابَةِ لِشَرْعِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

وَالْمُسْتَجِيبُونَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ هُمْ أَهْلُ الْفَلَاحِ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، الْفَائِزُونَ بِالْمَطْلُوبِ، النَّاجُونَ مِنَ الْكُرُوبِ، فَتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ، وَتَسَعَّدَ أَرْوَاحُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. هَذَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِيمَانِ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ. أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَشِعَارُهُمُ الْإِعْرَاضُ وَالتَّوَلَّى، وَدَيَدِنُهُمُ الصَّدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُخَالَفَةُ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْاسْتِجَابَةَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ حَيَاةُ الْقُلُوبِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَكْمَلُ النَّاسِ حَيَاةً أَكْمَلَهُمْ اسْتِجَابَةً، وَمَنْ ضَعُفَتْ اسْتِجَابَتُهُ ضَعُفَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ فَلَا اسْتِجَابَةَ عِنْدَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾. وَهَؤُلَاءِ مَصِيرُهُمُ الْهَلَاكُ، وَمَالَهُمُ الدَّمَارُ وَالْوَبَالُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ الْقُرْآنَ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ النُّكُوصَ عَنِ الْاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ يُسَبِّبُ الْإِخْتِلَافَ، وَاضْطِرَابَ الْأَحْوَالِ، وَاخْتِلَالَ الْمِيزَانِ، وَشُيُوعَ الْفَسَادِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَرِغًا مُحَمَّرًا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ

قَدْ اقْتَرَبَ، فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ، وَالَّتِي تَلِيهَا،
قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي تَسْتَجِيبُ لَوْحِي رَبِّهَا، وَتُسَلِّمُ وَجْهَهَا لِبَارِئِهَا يَحْسُنُ حَالَهَا،
وَتَتَغَيَّرُ حَيَاتُهَا صَالِحًا وَإِصْلَاحًا، وَيَتَحَقَّقُ لَهَا الْأَمْنُ وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، وَالْوَحْدَةُ الصَّادِقَةُ بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ، وَتَتَحَوَّلُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى أَنْ يَكُونُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ
النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ،
وَتَعَاطُفِهِمْ مِثْلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى».

عِبَادَ اللَّهِ: يَسْتَجِيبُ اللَّهُ لِلْعِبَادِ إِذَا اسْتَجَابُوا لَهُ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ يَقْدَرُ الْإِسْتِجَابَةَ فِي وَقْتِهَا بِتَقْدِيرِهِ
الْحَكِيمِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا
لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي».

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

وَلَمَّا حَصَلَ الْخَلَلُ فِي الْإِسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مُنِعُوا إِجَابَةَ اللَّهِ، وَوَكَلُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَمَنْ وَكَلَهُ
اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ خَسِرَ وَضَعُفَ وَذَلَّ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي سُرْعَةِ الْإِسْتِجَابَةِ سَطَرَ الْأَوَائِلُ مَوَاقِفَ خَالِدَةً. فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمُ الْأَمْرَ أَوْ النَّهْيَ، فَيَسْتَجِيبُ دُونَ تَرَدُّدٍ، وَهَذَا يُنبِئُ عَنِ عُمُقِ إِيْمَانٍ وَصِدْقِ
إِدْعَانٍ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِيهَا - أَي:
الْخَمْرُ - أَبَا طَلْحَةَ، وَأَبَا أَيُّوبَ، وَرِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِنَا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ
فَقَالَ: هَلْ بَلَّغْتُمُ الْخَبْرَ؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَإِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ، أَرِقْ هَذِهِ الْقِلَالَ،

قَالَ: فَمَا رَاجِعُوهَا، وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ.^(٣)

وَأَمَّا النِّسَاءُ: فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلِيضْرِبْنَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ، فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ كَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَعْظَمَ النَّاسِ اسْتِجَابَةً. فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَخَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَبْحِ ابْنِهِ، فَيَسْتَجِيبُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَتَوَانَى، وَيُخْبِرُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَسْتَجِيبُ فِي رِضَى وَتَسْلِيمٍ لِقَضَاءِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَيَقِفُ كَلِيمُ الرَّحْمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، وَعَدُوَّهُمْ فِرْعَوْنُ يُلَا حِقَّهُمْ بِجُنُودِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾، لَا مَفْرَ مِنْ الْمَوْتِ، إِمَّا بِالْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ، أَوْ بِالْقَتْلِ بِأَيْدِي جُنْدِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، وَيَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾، وَمَا تُجْدِي عَصَاةُ بِيَدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَامَ هَذَا الْبَحْرِ الْمُتَلَاطِمِ، وَهَذَا الْجَيْشِ الْعَرْمَرَمِ، لَكِنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَسْتَجِيبُ مُوسَى لِأَمْرِ اللَّهِ، فَضْرَبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ، ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثَمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: بِالِاسْتِجَابَةِ وَالِامْتِثَالِ تَطْمِئِنُّ النُّفُوسُ، وَتَصْفُو الْأَفْئِدَةُ، وَتَسْعَدُ الْقُلُوبُ، وَتَنْجَلِي الْكُرْبُ، وَتَسْتَمِرُّ الْحَيَاةُ.

لَقَدْ حَلَّتِ اللَّعْنَةُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ، ﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

وَبَسَبَ عِضْيَانِهِمْ اسْتَحَقُّوا غَضَبَ الْجَبَّارِ، وَالذَّلَّةَ وَالْهَوَانَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: لِلِاسْتِجَابَةِ عَلَامَاتٍ، أَبْرَزُهَا: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَالشُّورَى فِي الْأَمْرِ، وَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

وَلِعَدَمِ الْإِسْتِجَابَةِ أَسْبَابٌ، مِنْهَا: الْكِبَرُ، وَحُبُّ الرِّيَاسَةِ، وَالْإِنْعِمَاسُ فِي التَّرَفِ، وَكَذَا اتِّبَاعُ الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْإِسْتِجَابَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَنْ اسْتَجَابَ لِلَّهِ نَالَ الْحُسْنَى، وَمَنْ أَعْرَضَ وَعَصَى وَلَمْ يَسْتَجِبْ فَبِئْسَ الْمَالُ، وَلَنْ يُغْنِيَ عَنْهُ جَمْعُهُ وَلَا مَالُهُ، وَلَوْ آتَى بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَمِثْلِهِ مَعَهُ لِيَفْتَدِيَ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. فَحَيَاةُ الْقَلْبِ فِي الْإِسْتِجَابَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ»: أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ حَيَاتَنَا إِنَّمَا هِيَ بِمَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ اللَّهُ وَالرَّسُولُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ. فَعَلِمَ أَنَّ مَوْتَ الْقَلْبِ وَهَلَاكَهُ بِفَقْدِ ذَلِكَ. وَشَبَّهَ سُبْحَانَهُ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لِرَسُولِهِ بِأَصْحَابِ الْقُبُورِ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ التَّشْبِيهِ، فَإِنَّ أَبْدَانَهُمْ قُبُورٌ لِقُلُوبِهِمْ، فَقَدْ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ، وَقُبِرَتْ فِي أَبْدَانِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.